الكتابات السياسية الكاملة

القائد المؤسس ميشيل عفلق

في سبيل البعث - الجزء الأول

الباب الاول - أفكار وتأملات

خبرة الشيوخ واندفاعات الشباب – 7 نيسان 1955م

لننظر[1] ما هي حقيقة هذه النظرة (خبرة الشيوخ واندفاعات الشباب) وما نصيبها من الصدق، وبالتالي ما هو أثرها في حياتنا وإنشاء مستقبلنا؟ ينظرون إلى الحياة نظرة سطحية تأخذ بالمظهر، فيرون أن الإنسان يبدأ صغيراً في جسمه وفي عقله فيرون أن الصغر هو النقص وأن الكبر هو الكمال. ولكن إذا تعمقنا قليلاً فإننا واجدون أن الإنسان في سن الشباب يحتوي على أعلى درجة وأكبر طاقة من الفضائل الحية، وأنه إن كان لا يستطيع التعبير عنها باللفظ والكمال وبالحكمة والرصانة فما ذلك إلا لأنها فضائل حية متقدة لا تترك لها حيويتها مجالاً لأن تصاغ في الكلام، الكلام الحكيم والأفكار الرصينة، ولا تترك لها مجالاً أن تنظر إلى الوراء وتراقب وتشاهد بدل أن تدفع وتعمل، بدل أن تقرر، بدل أن تخلق وتبدع. فما يراه الجيل القديم وذوو النفوس الضعيفة نقصاً في الشباب ليس إلا الكمال ذاته، وما يحسبونه كمالاً في الشيخوخة ليس إلا نقصاً: فالشاب تؤهله الحياة لأن يبقى متحرراً من شتى المؤثرات النفعية الجبانة والانهزامية لأن الحياة تأبي عليه كل ذلك، وعندما يبدأ يجتاز سن الشباب ويبدأ الوسط يعمل فيه تأثيراً وتخديراً ليهبط به إلى مستوى العجز والخنوع والتشاؤم وليكيله بشتى القيود الاصطلاحية المصطنعة وليجعل منه حيواناً أليفاً، عندها يدخلون في روعه أنه بدأ يكتمل ويختمر، وأنه زاد عما قبل واكتسب شيئاً جديداً، وهو بالواقع بدأت خسارته وبدأت حيويته ينال منها الضعف وبدأت عفويته تؤسر وبدأ ينبوع نفسه المتدفق تلقى فوقه الأحجار والصخور حتى ينضب ويجف.

فإذا نظرنا أيها الإخوان إلى حالة الأمة العربية في هذا الظرف الخطير.. إذا عرفنا أن شر ما تبتلى به أمتنا هو النفعية والجبن والتخاذل استطعنا أن نستنتج بسهولة أن صفات الشباب ومميزات الشباب هي وحدها المتلائمة مع حاجات أمتنا المتحفزة للبعث والنهوض.

وبين الشباب وبين أمتنا موعد وتلاق وتوافق وانسجام. وما يسمونه خيالية الشباب وما يسمونه طيشاً وقصراً في النظر وعدم تقدير للعواقب، هو الحدس الصافي والحس السليم والفهم العميق لمبادئ حركة الإنقاذ في حياة أمتنا.

فإذا أضفنا إلى سن الشباب صفة الثقافة والوعي اهتدينا إلى الشرطين الأساسيين اللذين لا غنى عنهما لحركة الإنقاذ والخلاص:

---

[1] ألقي هذا الحديث في حفلة أقامها الطلاب الثانويون في دمشق للتعارف بتاريخ 7 نيسان 1955م

1. شرط الوعي والثقافة.

2. شرط الشباب.

ولكن في مجتمع كمجتمعنا ما زال يتحكم به الأجنبي تارة بصراحة كما في بعض أجزاء أرضنا، وتارة بصورة مستورة من وراء الطبقات النفعية المتآمرة على حياة شعبنا، وما دام مجتمعنا مسيراً لمصلحة الاستعمار والطبقات المستثمرة، فمن العبث أن ننتظر منهما لرسالة الشباب ورسالة الثقافة نفعاً يصدر عن مؤسسات المجتمع الرسمية وعن المدارس بصورة خاصة. فهذا المجتمع الذي يسيطر على تنشئة أجيالنا يزيف رسالة الشباب ورسالة الثقافة، ويحاول أن يجعل من الشباب شيوخا وهم في ميعة الصبا، ويحاول أن يجعل من الثقافة أداة خمول بدل أن تكون أداة ثورية لتعيد إلينا الحياة العربية السليمة الصافية.

لذلك لابد أن يضطلع بهذه المهمة من هم متحررون من آثار المجتمع وسيطرة الحكومات والمؤسسات الرسمية، ليعيدوا إلى الشباب ثقته بنفسه وليحملوه مسؤوليته بيده. فكانت مهمة الأحزاب الانقلابية والحركات الشعبية، هي أن تنشئ مدرسة صريحة سليمة يسمع فيها الشباب نداء روحهم، ليؤدوا رسالتهم.

أيها الإخوان: في المجتمعات السليمة تكون مهمة التثقيف أن يحافظ الشباب على شباب نفوسهم وعلى نضارتها وعلى حرارة عاطفتهم وعلى عفوية اندفاعاتهم حتى بعد أن يجتازوا سن الشباب. فالمجتمع السليم هو الذي يمد في عمر الشباب، يمد في أجل الشباب. إننا نشاهد آثار ذلك في بعض الأمم الراقية وكيف أن الشيوخ والكهول هم من القدرة على التجدد المستمر والإبداع المستمر مما هيا لمجتمعاتهم أن تقوى على الفناء وأن تتكيف مع نواميس الحياة وأن تستمر في الصعود.

فميزة المجتمع السليم هي أنه يبقى على النزعة المثالية، يبقى على النظرة الحرة المنطلقة، وعلى روح الكفاح، هي أنه يقضي على النظرة النفعية... يجدد فتوة النفس بشتى الوسائل، بالفن، والفكر، لكي يبقى الإنسان جديراً بهذه التسمية ولكي تبقى إنسانيته سليمة. ولكن المجتمع المتأخر، المجتمع الذي يحتاج إلى ثورة وانقلاب هو على العكس، يسعى لجعل شبابه كهولاً وشيوخاً متخلفين...

هذا ما نشاهده في مجتمعنا الحاضر... هذه المحاولة المجرمة التي تريد أن تقضي على اندفاعات الشباب التي هي أثمن كنز في إمكانيات أمتنا، فإذا وعى الشباب هذا القدر الجليل الذي يؤهلهم أن يمثلوا انتفاضة أمتهم في هذه المرحلة وأن يستغلوا فضائل الحياة أبعد استغلال... أن ينشدوا الثقافة الحرة التي تربطهم بمصير أمتهم.

وأي حرية أوسع وأعظم من أن يربط الإنسان نفسه بنهضة أمته وثورتها.

المصدر:

ميشيل عفلق، الكتابات السياسية الكاملة، في سبيل البعث، الجزء الأول، الباب الأول: أفكار وتأملات، مقال (خبرة الشيوخ واندفاعات الشباب)، 7 نيسان 1955م.